المحاضرة الثالثة: الانواع الأدبية عند أرسطو

مقدمة:

يُعدّ أرسطو أول ناقد ومفكر قدّم نظرية متكاملة حول الأنواع الأدبية في التاريخ النقدي، وذلك في مؤلفه الشهير "فن الشعر(Poetica) "، الذي يُعتبر حجر الأساس في النقد الغربي والعربي على السواء، فقد حاول أرسطو أن يجعل من الشعر علمًا له قوانين تضبط إنتاجه وفهمه، فكان أول من ميّز بين الأنواع الأدبية الكبرى، محدِّدًا خصائص كل نوع ووظيفته وجمالياته. وللإفادة فإن أرسطو قد ورث تصوّرات أستاذه أفلاطون عن الفن والأدب، لكنه خالفه جوهريًا؛ فبينما رأى أفلاطون أن الفن محاكاة مضللة تبعد عن الحقيقة،اعتبر أرسطو أن المحاكاة وسيلة للمعرفة، وأن الفن يقدّم صورة مثالية للواقع، لا مجرد تقليد له. ومن هنا انطلق لتحديد طبيعة الأنواع الأدبية ووظائفها.

أولًا: مفهوم الأدب والفن عند أرسطو:

يرى أرسطو أن جوهر الأدب هو المحاكاة(Mimesis) ،وهي القدرة على تقليد الأفعال الإنسانية وتصويرها فنيًا، لكن المحاكاة عنده ليست مجرد نسخ للواقع، بل هي إعادة خلق وتنظيم للحياة في شكل فني، يُظهر ما ينبغي أن يكون، لا ما هو كائن فقط، ويُقسم أرسطو الفنون إلى ثلاثة عناصر رئيسة:

.1وسائل المحاكاة: اللغة، الإيقاع، النغم، الحركة...

.2موضوعات المحاكاة: الأفعال الإنسانية النبيلة أو الدنيئة.

.3طرائق المحاكاة: كيف تتم المحاكاة — هل يروي الشاعر الأحداث؟ أم يجعل الشخصيات تتحدث بنفسها؟

ومن خلال هذا التقسيم، اشتقّ تصنيفه للأنواع الأدبية الكبرى.

ثانيًا: الأساس الذي بُنيت عليه الأنواع الأدبية:

حدد أرسطو الأنواع الأدبية وفقًا لمعيارين رئيسيين:

.1طبيعة المحاكاة: أهي سردية أم تمثيلية أم غنائية؟

.2موضوع المحاكاة: هل تتناول أفعالًا نبيلة أم هزيلة؟

وبناءً على ذلك، قسّم الشعر إلى ثلاثة أنواع رئيسة: الملحمة – التراجيديا – الكوميديا، وأضاف إليها بعض الأنواع الفرعية مثل الشعر الغنائي والديثرامب.

ثالثًا: الملحمة(Epic Poetry)

الملحمة هي نوع من الشعر السردي الطويل، يروي أفعال الأبطال العظام بلغة رفيعة وأسلوب سامٍ، وتتناول موضوعات البطولة، الحرب، والمغامرة، من خصائصها أنها تعتمد على السرد (diegesis) أكثر من التمثيل، موضوعها الأبطال والنبلاء، وأفعالهم الكبرى التي تمثل نموذجًا للشجاعة والفضيلة.، تستخدم البحر الشعري الطويل والنغمة الجليلة، كما أنها تتّسم بالاتساع في

الزمان والمكان وكثرة الأحداث والشخصيات، ولقد اعتبر أرسطو أن الإلياذة والأوديسة لهوميروس النموذج الأمثل للملحمة،

إذ جمعت بين السرد الرفيع والعمق الإنساني في عرض الأفعال البطولية، ومن بعدهما جاءت ملحمة الكومييا الإلهية وملحمة قلقامش.

تتحذث الإلياذة عن حرب طروادة والبطولات التي قدمها البطل هيكتور في هذه الحرب وكذا الصراع القائم بين الإغريق وأهل طروادة، أما الأوديسة فتصور الأحداث والأهوال التي واجهها هذا البطل وهو عائد إلى بلاده وكيف انتصر عليها، أما عن الكوميديا الإلهية لدانتي إليغيري تدور مواضيع هذه الملحمة حول الانسان وحياته ومواقفه في مواجهه العدالة الإلهية، تحدى من خلالها السلطة الكنيسية(الكاثوليكية)،فواجه قرار رجال الدين القائمين على شؤون الدين والدنيا برفض جريء والمتحكمين في حياه البشر بحكم السلطة الدينية، أما ملحمة قلقامش فيعود تاريخها إلى أكثر من 2000 سنه قبل الميلاد، أوضحت المعالم عن حياة الشعب كان يقيم فوق أرض العراق، فهي تحكي طفوله الشعب الأكادي البابلي، وتكشف عن آثار حضارته المخبوءة التي طواها تباعد الزمن في بلاد ما بين النهرين.

رابعًا: التراجيديا(Tragedy)

عرّف أرسطو التراجيديا بأنها محاكاة لفعل جادٍّ تامٍّ، له طول معلوم، في لغة مزدانة بالأشكال الفنية، يؤدّى تمثيلاً لا سردًا، يثير في النفس مشاعر الرحمة والخوف، فيؤدي إلى تطهيرها منهما".(Catharsis) ولقد حدد أرسطو ستة عناصر أساسية لهذا النوع:

.1الحبكة – (Mythos) أهم عنصر، وهي ترتيب الأحداث ترتيبًا فنّيًا.

.2الشخصية – (Ethos) يجب أن تكون نبيلة وثابتة.

.3الفكر – (Dianoia) أي الفكرة أو الدرس الأخلاقي الكامن وراء العمل.

.4اللغة – (Lexis) الأسلوب والعبارات الشعرية.

.5اللحن – (Melos) الموسيقى المصاحبة في المسرح.

.6المنظر – (Opsis) الإخراج والمشاهد البصرية.

يرى أرسطو أن الغاية الكبرى من التراجيديا هي التطهير(Catharsis) ، أي تنقية النفس من العواطف السلبية عن طريق تجربة الانفعال الجمالي. فعندما يشاهد الإنسان مأساة بطل نبيل يسقط نتيجة خطأ مأساوي(Hamartia) ، تُثار في نفسه مشاعر الخوف والشفقة، مما يؤدي إلى صفاء وجداني ونفسي.

خامسًا: الكوميديا(Comedy)

الكوميديا عند أرسطو هي محاكاة لأفعال وضيعة أو هزيلة، لكنها لا تُفضي إلى الألم أو الفساد، بل إلى التسلية والإصلاح، فهي تكشف الجانب المضحك من السلوك الإنساني، من خصائصها أن موضوعها الناس العاديون لا الأبطال، فضلا عن كونها تنتهي نهاية سعيدة و تُظهر العيوب البشرية

الصغيرة في إطار هزلي، لأن غايتها الإضحاك والتقويم الأخلاقي عبر السخرية، ومع أن "فن الشعر" لم يكتمل عند أرسطو ولم يفرد للكوميديا تفصيلًا كافيًا، إلا أن تلميذه لاحقًا ذكر أنه خصص لها جزءًا مفقودًا من الكتاب، وكان يرى فيها نوعًا مكمّلًا للتراجيديا، يقابلها من حيث الانفعال والمضمون.

سادسًا: الأنواع الثانوية الأخرى:

إلى جانب الأنواع الثلاثة الكبرى، تحدث أرسطو عن:

1. الديثرامب :(Dithyramb) شعر غنائي يُنشَد في الاحتفالات الدينية لإله الخمر ديونيسوس.
2. الشعر الغنائي :(Lyric Poetry) الذي يعبّر عن الانفعالات الذاتية والمشاعر الفردية.
3. الدراما الهجينة :(Satyr Play) مزيج بين الجد والهزل.

و هذه الأنواع الثانوية كلها تُعدّ امتدادات للأنواع الرئيسة وتدخل ضمن الفنون المحاكاتية.

سابعًا: العلاقة بين الأنواع الأدبية:

يرى أرسطو أن الفروق بين الأنواع ليست قاطعة، بل يمكن أن تتداخل، لكن لكل نوع وظيفته الخاصة في خدمة الجمال والمعرفة، فالملحمة تُعبّر عن البطولة الكبرى، والتراجيديا تُظهر الصراع الأخلاقي، والكوميديا تُضحك الإنسان وتجعله يرى عيوبه في مرآة الفن، ومن هنا يصبح الأدب — في مجمله — تعبيرًا عن التجربة الإنسانية الكاملة في صورها الجادة والهزلية على السواء.

ثامنًا: القيمة النقدية لتقسيم أرسطو:

.1التأسيس العلمي: وضع أرسطو معايير دقيقة لتحليل النصوص الأدبية، ما جعله المؤسس الفعلي لعلم النقد الأدبي.

.2الوظيفة النفسية والجمالية: ربط الأدب بتأثيره في النفس من خلال مفاهيم كالتطهير والانفعال الجمالي.

.3التحليل البنيوي المبكر: اعتمد على البنية الداخلية للنص (الحبكة، الشخصيات...) قبل ظهور البنيوية بقرون.

.4التأثير الواسع: ظلّ تقسيم أرسطو للأنواع الأدبية المرجع الأساس حتى العصور الحديثة، واستند إليه النقاد الرومانسيون والواقعيون، ثم البنيويون لاحقًا.

خاتمة:

يتّضح من خلال فلسفة أرسطو في "فن الشعر" أن الأدب، في جوهره، محاكاة منظّمة للفعل الإنساني، وأن تقسيم الأنواع الأدبية لا يقوم على الشكل فقط، بل على الوظيفة الجمالية والمعرفية، فالملحمة تمجّد البطولة، والتراجيديا تطهّر النفس، والكوميديا تُصلح الخلق بالضحك، وقد استطاع أرسطو أن يضع لبنة النظرية النقدية الأولى التي أثّرت في الفكر الجمالي لقرون طويلة، وظلّت مرجعًا ثابتًا لكل دارس للأدب والفن.

المراجع المعتمدة:

.1أرسطو، فن الشعر. ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة: وكالة المطبوعات.

.2زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر الغربي.
.3محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث.
4. Halliwell, S. (1986). Aristotle's Poetics.
5. Golden, L. (1992). Aristotle on Tragic and Comic Mimesis.
6. Else, G. F. (1957). Aristotle’s Poetics: The Argument.